

Submission date: 06/09/2018

Accepted date: 27/10/2018

الشيخ عبد الله بن فودي النيجيري وموقفه من التصوف

Shiekh Abdullah Bin Fūdi, al- Nayjīri: His Stand on Sufism

Alawiye Abdul Mumin Abdur Razzaq, Ahmad Wifaq Mokhtar, Abdul Manan
Ismail, Mushaddad Hasbullah, Shittu Bilal Yusuf
Universiti Sains Islam Malaysia

muminubillah@gmail.com

المُلخَص

تستهدف هذه المقالة بلورة موقف الشيخ ابن فودي من التصوف. كان ابن فودي أحد علماء القرن التاسع عشر الميلادي. تمّ استخدام المنهج الاستقرائي والمنهج الاستنباطي ومنهج الوصف التحليلي؛ جمعا للمعلومات عن ترجمة الشيخ واستقصاء لأراء ابن فودي وغيره من العلماء مع تحليل النكتات المنوطة بالتصوف. تتكوّن الدراسة من التمهيد ومباحث ثلاثة ثمّ الخاتمة. فالمبحث الأوّل عبارة عن موجز الترجمة لابن فودي؛ وحين ينصبّ الثاني على عرض فتواه وآرائه حول التصوف، يُعنى المبحث الأخير بدراسة تحليلية لأرائه في التصوف. والخاتمة عبارة عن النتائج. لقد نتج عن هذه الدراسة معرفة موقف ابن فودي؛ كان عالما متصوفا ملتزما بالتوجيهات الإسلامية في حركاته، مما يدلّ على أنّه قد أنكر الشطحات الصوفيّة.

الكلمات المفتاحيّة: ابن فودي، التصوف، موقف.

Abstract

This paper is to clarify the stand of Ibn Fūdi on Sufism. He emerged as one of the scholars during the nineteenth century, as a result of a great portion of knowledge given to him by Allah. The researchers used inductive, deductive and analytical methods. Meanwhile, this paper comprises three sections after the introduction. The first section treats the biography of Ibn Fudi. The second deals with his opinions on Sufism, while the third analyses his opinions and the general perspectives on Sufism. Finally, it is realised that Ibn Fudi was a scholar who used to follow the Islamic guidelines in his activities and frowned against all unconventional acts of the Sufi order.

Keywords: Ibn Fūdi, sufism, stand.

المقدّمة

إنّ كلمة "التصوّف" عبارة عن طريقة في السلوك تعتمد على التقشّف ومحاسبة النفس، والانصراف عن كلّ ما له علاقة بالجسد والتّحليّ بالفضائل؛ تركية للنفس وسعيًا إلى مرتبة الفناء في الله تعالى إيمانًا بالمعرفة المباشرة أو بالحقيقة الرّوحية (Umar et al, 2008). فهذه الظاهرة لم تكن شيئًا مجهولًا لدى العلماء قديما وحديثًا؛ فلقد انصبّ على هذا المفهوم اهتمامهم حتّى سبّحوا في الحديث عنه من خلال فتاويهم وبحوثهم. عليه، فإنّ التصوّف قد تقادم عهده بدولة نيجيريا وغرب إفريقيا بصفة عامّة. فكثير من العلماء والفقهاء، منذ فجر الإسلام في ديار نيجيريا، كانوا معروفين ومشتهرين بالنشاطات الصوفية التي يعتبرونها تربية الأرواح. وربما قد ترثبت تلك ممارستهم على ما قد تعلّموا واستفادوا ووقفوا عليه من قول الإمام الشافعي (رضي الله عنه) الذي ورد في ديوان شعره على النمط التالي:

ففيها وصوفيا فكن ليس واحدا
فإنّي وحقّ الله إيّاك أنصح
فذلك قاسٍ، لم يذق قلبه تقى
وهذا جهول، كيف ذو الجهل يصلح؟

(Al-Shafi'i, n.d)

يستفاد من الوثائق التاريخية أنّ الحركات الصوفية في أفريقيا الغربية تمّ ظهورها في القرن الخامس عشر الميلادي على أيدي رجال من ثوات (بضم التاء) الذين استقروا بتمبكتو؛ ومن هذه المدينة انتشر نشاطهم إلى نيجيريا (Abubakr, 1972). وإلى جانب هذا، ورد في تصنيف من نشر الإسلام في غرب أفريقيا أنّ من الدعاة رجالا صوفيّين جمعوا بين نشر الإسلام ونشر محاسن الصوفية وطرقها. ولقد كان للمجدد الدينيّ في ذلك العصر، مع أتباعه من الإخوان والتلاميذ وعلى رأسهم أخوه الشيخ عبد الله بن فودي، مساهمات كبيرة في نشر الحركات الصوفية في نيجيريا في القرن التاسع عشرة؛ حتّى ألفوا في ذلك مجموعة من الكتب؛ كما كان جميع مشايخ الشيخ عثمان بن فودي وإخوانه وتلاميذه منتسبين إلى الطريقة القادرية (Al-Iloriy, 2012).

ذلك المجدد الديني: هو عثمان بن محمد فودي المولود في دار علم بأرض غوبر حوالي سنة 1704م. بدأ أبوه الملقب بفودي (أي الفقيه في اللغة الفلانية) تربيته واعتنى بتعليمه مع شقيقه عبد الله منذ نعومة أظفارهما. درس الشيخ عثمان الفقه المالكي عند الشيخ جبريل، ثم سافر إلى مدينة أكذر لأخذ العلم عند مجموعة من علمائها. وبعد عودته، اشتغل بالتدريس والوعظ، مساعداً لأستاذه الشيخ جبريل في الدعوة ونشر الإسلام في مملكة غوبر وغيرها من الممالك المجاورة. كان ابن فودي رجل الدين وصوفياً مجذوباً ينتسب إلى الطريقة القادرية؛ فكم حصل له الجذب الإلهي بفضل التزامه بالصلاة على النبي، حتى اشتهر أمره في جميع ممالك نيجيريا، وأصبح المريديون وطلبة العلم يزورونه من كل مكان. لقد شدّ عضده في نشر الدعوة ذلك الفيض الرباني؛ فظلّ ينتقل من قرية إلى قرية ومن مدينة إلى أخرى للوعظ والإرشاد، كما تعود زيارة قصور العلماء والأمراء آنذاك للوعظ والإرشاد دون الخوف من أحد. أسس الإمبراطورية الفلانية في خلال (1802-1808م) مشتملة على جميع بلاد الحوصا وعدة مقاطعات في النيجر زداهومي والكامرون، وأصبحت مدينة سوكتو عاصمة تلك الإمبراطورية. تمّ قيام الدولة الإسلامية على يد هذا المجدد الديني عام 1804م، وكان أول من بايعه شقيقه عبد الله بن فودي، ثم صديقه عمر الكموني، ثم ابنه محمد بللو، ثم العلماء والأعيان من تلاميذه وأصحابه. ففي آخر حياته، انقطع للتدريس والتأليف، حتى توفي سنة 1817م. ترك عدّة مؤلفات في الفقه والحديث والعقيدة والتصوف وغير ذلك. ومن تأليفه إحياء السنة وإخماد البدعة (Al-Ilyory, 2012; Abubakr, 1972).

تكمن مشكلة البحث في أنّ الأغلبية الساحقة ممن يتعاطون التصوف في الأزمنة الأخيرة غير منصفين، ولم يكن لهم استقامة. كانت لهم شطحات وأفاعيل في نشاطاتهم الصوفية مما تستهجنها الشريعة الإسلامية الغراء؛ لأنها أقرب ما كانت إلى الفساد منها إلى الصلاح في المجتمع. هذا، وقد يدعي بعضهم أنّ الشيخ عبد الله بن فودي هو الآخر متصوف؛ يحيلون إلى شخصيته المتميزة بالعلم بغية الاستدلال على ما يؤخذون عليه من القصور. لذا، يجدر استقصاء بعض آراء الأخير ليعرف موقفه من التصوف.

وكما يتجلى من عنوان هذه الورقة، تُعنى الدراسة بإبراز ما قد أفتى به الشيخ عبد الله بن فودي في التصوّف وتحليل ذلك حسب مقتضى الحال. لقد نتجت تلك فتاويه عن تكرار السؤال الذي أتى عليه من قبل بعض الإخوان الذين طالبوه بكتابة شيء يستضيئون به على الأحكام، بحسب ما يقتضيه الحال في الزمان والمكان؛ وأخيراً، استجابة لطلبهم، كتب ما قد كتب على منوال ما ذكره العلماء المالكية (Ibn Fudi, 1988). والجدير بالذكر أنّ الحاجة ماسّة إلى استنقاص نظر عبد الله بن فودي في التصوّف؛ لأنّ الأخير من مواليد عائلة مميّزة بالنشاط العلميّ، لها مآثر تطلّ خالدة في نشر الإسلام والدعوة إلى الله، متمثلة في بثّ التوجهات الإسلامية في المجتمع، وجامعة بين الروحانيات والأخلاقيّات. وإلى جانب ذلك، تعدّ الأسرة، من قديم الزمان، مركزاً ومرجعاً لكثرة المتديّنين بالإسلام حتّى نسبت إليها شتىّ المبادرات. هذا، وينبغي تصفّح رأي هذا الشيخ نيابة عن تلك العائلة العريقة؛ حتّى يمكن استيعاب حقيقة حركاتهم الصوفية، والتمييز بينها وبين بعض الأفاعيل التي لا أساس لها، ممّا قد يُعزى إليهم من قبل بعض من يدّعون النسبة إليهم عبر التلمذة والرعاية والخلطة والتبعية وغير ذلك.

المبحث الأول: التعريف بالشيخ عبد الله بن فودي

هو أبو محمد عبد الله بن محمد فودي بن عثمان بن صالح بن هارون بن محمد بُغردُ بن جبُّ بن محمد سلْبُو بن أيوب بن ماسران بن بُوبَ باب بن موسى جَكَلُ (Ibn Fudi, 1971). اختلفت الروايات بالنسبة لتاريخ ولادة عبد الله بن فودي، حينما ذكر الشيخ أبوبكر محمود قمي- قاضي قضاة نيجيريا الشمالية السابق- بأنّ ميلاده سنة ألف ومائة وتسعة وسبعين هجرية (Ibn Fudi, 1971)، أورد أبوبكر علي غندو بأنه ولد بولاية غوبر عام 1180هـ / 1766م (Al-Dali, 2007). وجاء في رواية أبي بكر علي أنّ عثمان بن فودي ولد في غوبر سنة 1754م، وأنّ عبد الله أخاه ولد سنة 1760م (Abubakr, 1972). ولد في قرية تسمى طغل (بفتح الطاء والغين وسكون اللام)، وهي بلدة صغيرة تقع في شمال وادي "ريما" ونهر "سكتو"، وكانت تابعة لإمارة غوبر آنذاك، وبينها وبين عاصمة الإمارة "القاضاوا" ستون ميلاً (Namadi, 2004).

ومما زاد الأمر التباسا وغموضا هو القول بأن شقيقه الكبير، أي الشيخ عثمان بن فودي، يكبر عبد الله بقراية اثنتي عشرة سنة (Ibn Fudi, 1988). هذا، فإذا أجري حساب بسيط بالنسبة لفارق السنّ بينهما حسب رواية أبي بكر علي، مؤلف كتاب "الثقافة العربية في نيجيريا"، يستنتج أنّ عثمان بن فودي لم يكبر أخاه عبد الله إلا بست سنوات، الأمر الذي يؤدّي إلى بعض التناقض في الروايات. ومهما يكن من الأمر، المهمّ والمستفاد من كلّ ذلك هو أنّ ميلاد عبد الله بن فودي؛ بالرغم من اختلاف روايات المترجمين وتناقضها، قد تحدّد وقوعه متراوحا ما بين الستينيّات والثمانينيّات في النصف الثاني من القرن الثامن عشر الميلادي.

أفادت شتّى الروايات التاريخية أنّ لأسرة عبد الله بن فودي أصالة تنتمي إلى قبيلة فولانية تعرف بالتوروب، وأن هؤلاء انتسبوا إلى منطقة فوتاتور التي هاجروا إليها من تنبكتو لوقت مضى، وكانت أصولهم هي أوّل من تمسّلت في سلجماسي أو السنغال نتيجة للجهود الكبيرة التي بذلها المجاهد الكبير أبوبكر بن عمر اللمتوني، الذي اتجه جنوب شرق الصحراء وجنوب غرب الصحراء إلى بلاد السنغال ناشرا للدعوة الإسلامية ورافعا لرايتها التي تسلمها منه شعب التكرور الذين تولوا المسؤولية بحق- وبقوة فبدأوا ينتشرون في غرب أفريقيا على وجه الخصوص متّجهين شرقا في سلسلة من الهجرات (Husayn, 1984).

بدأ ابن فودي رحلته التعلّميّة مبكّرا من الأسرة، ثم لدى بعض العلماء في عصرهم. كان لأخيه الكبير الشيخ عثمان الفضل؛ حيث هو الذي شقّ له الطريق في طلب العلم، ودرس لديه شتّى العلوم والفنون حتى أصبح فيما بعد نابغة زمانه في العلم. وأخيرا، ساهم في شتّى العلوم والفنون من خلال التّأليف في التفسير، وعلوم القرآن، والفقه وأصوله، والحديث، والتصوّف، وفي كثير من علوم اللغة والأدب، إلى جانب كتاباته بمثابة المقالات (Abubakr, 1972)؛ فلا مجال لذكر تلك الإنتاجات العلمية هنا خشية إطالة الحديث عن شخصيته. وفي آخر حياته، انقطع عن الناس ملازما بيته، ثم واطب على الدعوة إلى الله تعليما وتأليفا إلى أن جاء أجله، ولقي- رحمه الله- ربّه في أوّل السنة 1245هـ. (Namadi, 2004).

المبحث الثاني: نظره وآراؤه في التصوّف

لقد صرّح الشيخ ابن فودي-كعالم أصولي وفقيه مجتهد على المذهب المالكي- بأنّ ما يفتي به في قضية التصوّف مستمدّ من أقوال أحد السابقين من العلماء وهو أحمد الزروقي البرنسي الفاسي، أحد فقهاء المالكية الذي غلب عليه التصوّف وفقه الطريقة الشاذلية. فالأخير: هو أبو العباس أحمد بن أحمد بن محمد بن عيسى البرنسي الفاسي المعروف بزروق. ولد يوم الخميس 18 محرم سنة 846هـ، فاقدا أمّه يوم السبت بعده وأباه يوم الثلاثاء الموالي. تولّت جدّته الفقية الصالحة كفالته بعد فقدان والديه فأحسنّت تربيته حتّى حفظ القرآن وهو ابن عشر سنين. توفّر لطلب العلم عند بلوغه سادس عشر، وأخذ العلم عن مجموعة من شيوخ منهم: علي السطي وعبد الله الفخار، والقوري، والزرهوني وغيرهم. اشتغل بالتصوّف والتوحيد أخذًا الرسالة القدسية وعقائد الطوسي على الشيخ عبد الرحمن المجدولي، وسمع من القوري البخاري، وتفقه عليه في كلّ أحكام عبد الحقّ الصغرى وجامع الترمذي. أخذ العلم عن بعض الشيوخ من مدن المشرق والمغرب، وكان كثير التجوال في البلاد الإسلاميّة. حجّ ومكث بالمدينة ردحا من الزمن ثم أقام بمصر بغية الإفادة والاستفادة من أعلامها. له مؤلفات كثيرة معظمها شروح في الفقه والحديث والتصوّف. ومن مؤلفاته شرح الحكم العطائية وشرح مختصر خليل. ولرسوخ قدم هذا العالم في الفقه وعلوّ مقامه في التصوّف، من غير أن يحيف فقهه على تصوّفه، تلقّب "بمحتسب العلماء والأولياء". توفّي- رحمه الله- سنة 899هـ، وقد ترك زوجتين وأربعة أولاد وبنت واحدة (Kanūn, 2010).

بالمناسبة، يمكن صياغة خلاصة آراء وأقوال ابن فودي في التصوّف في النقاط التالية:

الأولى: التصوّف صدق توجّه كلّ أحد إلى الله، وهو مشروط بكونه من حيث يرضاه الحقّ تعالى، وبما يرضاه، ولا يصحّ مشروط بدون شرطه، فلزم تحقيق الإيمان " وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ..." (AI- Quran39:7).

الثانية: التصوف يستدعي لزوم العمل بالإسلام، فلا تصوف إلا بفقهِ، إذ لا تعرف أحكام الله الظاهرة إلا منه، ولا فقه إلا بتصوف، إذ لا عمل إلا بصدق التوجه، ولا هما إلا بالإيمان، كما لا يصحّ واحد منهما دونه، فلزم الجميع لتلازمهما في الحكم كتلازم الأرواح بالأجسام، إذ لا وجود لها إلا فيها، كما لا كمال لها إلا فيها.

الثالثة: أصل التصوف مقام الإحسان الذي فسّره رسول الله (صلى الله عليه وسلم): " بأن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك"؛ لأنّ معاني صدق التوجه إلى هذا الأصل راجعة، وعليه دائرة، إذ إنّ لفظه دالّ على طلب المراقبة الملزومة، فكان الحضّ عليها حضّاً على يمينه، كما دار الفقه على مقام الإسلام والأصول على مقام الإيمان.

الرابعة: التصوف أحد أجزاء الدين الذي علّمه عليه السلام جبريل ليتعلّمه الصحابة (رضي الله عنهم)، فالصوفيّ تابع لأهل الصفة الذين قال الله فيهم: ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْعَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ (Al-qur'an18: 28).

الخامسة: الصوفيّ هو الذي يعمل في تصفية وقته عمّا سوى الحقّ، ومسالكه إليه المعرفة والعبادة والزهادة، وكلها متداخلة، إذ لا عبرة بمعرفته إذا لم يعبد (بمعرفة)، ولا عبادة إلا بمعرفة، ولا فراغ للعبادة إلا بزهد، ولا زهد إلا بعبادة، وإلا عادت بطالة، فالعلم بلا عمل وسيلة بلا غاية، والعمل بلا علم جناية.

السادسة: فائدة الأصول تحقيق علم المعتقدات بالبرهان وتحلية الإيمان، وفائدة الفقه إصلاح العمل وحفظ النظام، وإظهار الحكمة، وأنّ فائدة التصوف إصلاح القلوب وإفرادها لله تعالى عن كلّ ما سواه.

السابعة: مبدأ التصوف خشية الله، التي هي نتيجة معرفته، ومقدّمته اتباع، ومنتهاه إفراد القلب لله تعالى.

الثامنة: الفقه والتصوّف شقيقان في الدلالة على أحكام الله وحقوقه، لكن من طلب من علوم الصوفية دقائقها قبل علمه بجملة أحكام العبودية منها، وعدل عن جليّ الأحكام إلى غامضها، فهو مخدوع هواه، لاسيّما إذا لم يحكم الظواهر الفقهية للعبادات، ولم يحقّق الفارق بين البدعة والسنة والأحوال، ويطلب نفسه بالتخلّي قبل التخلّي.

التاسعة: دقائق العلوم منح إلهية، ومواهب اختصاصية، لا تنال إلا بمراعاة العمل بما علم على قدر الاستطاعة واللجوء إلى الله في الفتح على قدر الهمة، وإطلاق النظر في المعاني حال الرجوع إلى أصل السنة. فمن عمل بما علم، ورثه الله علم ما لا يعلم.

العاشرة: حكم الفقه عامّ في العموم؛ لأنّ مقصده إقامة رسم الدين ورفع مناره وإظهار كلمته، وحكم التصوّف خاصّ في الخصوص؛ لأنّ معاملة بين العبد وربّه، من غير زائد على ذلك.

الحادية عشر: صحّ إنكار الفقيه على الصوفيّ، ولم يصحّ إنكار الصوفيّ على الفقيه، ولزم الرجوع من التصوّف للفقه في الأحكام والحقائق لا بالنبذ والترك بل في الاكتفاء به بدونه.

الثانية عشر: الفقيه إن كان صوفي أعلى منه مرتبة فهو أسلم وأعلم مصلحة، ولذا قيل: " كن فقيها صوفياً، ولا تكن صوفياً فقيها".

الثالثة عشر: شرط طالب العلم في بدايته الاستماع والقبول ثمّ التصرّ والتفهّم، ثمّ التعليل والاستدلال ثمّ العمل والنشر، ومتى قدّم رتبة عن محلّها حرم الوصول لحقيقة العلم من وجهها. فعالم بغير تحصيل، ومحصل بغير التصوير، لا عبرة به، وصورة لا يحصنها الفهم لا يفيدها غيره. وعلم عرى عن الحجّة لا ينشرح الصدر له، وما لم ينتج فهو عقيم، والمذاكرة حياته؛ لكن بشرط الإنصاف والتواضع، وهو قبول الحقّ لحسن الخلق. ومتى كثر العدد انتفيا فاقصر ولا تنتصر واطلب ولا تقصّر، وبالله التوفيق (Ibn Fudi, 1988).

المبحث الثالث: دراسة تحليلية لآرائه

يستفاد من النقطة الأولى أنّ حقيقة التصوّف تكمن في أن يخلص كلّ عبد مسلم الإيمان بالله بلا إشراك به، مع القيام بكلّ عمل يرضي الله (سبحانه وتعالى)؛ وبعبارة أخرى، يعني كلّ ذلك إفراد الله بالعبادة. قال شيخ الإسلام: "كَانَتْ الْعِبَادَةُ لَا تَصْلَحُ إِلَّا لِلَّهِ وَهِيَ وَإِنْ كَانَتْ مَنفَعَتَهَا لِلْعَبْدِ وَاللَّهُ غَنِي عَنْهَا فَهِيَ لَهُ مِنْ جِهَةٍ مَحَبَّتِهِ لَهَا وَرِضَاهُ بِهَا..." (Ibn Taymiyyah, 1399H) وعلى هذا، ورد في الأثر عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: "قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أَنَا أَعْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشَّرِكِ، مَنْ عَمَلَ عَمَلًا أَشْرَكَ مَعِيَ فِيهِ غَيَّرِي تَرْكْتَهُ وَشْرَكَهُ" (Al-Hadith. Muslim: 2985).

إنّ مفاد النقطة الثانية هو أنّ التصوّف لا بدّ أن يقوم على العمل الذي شرعه الإسلام، ولا يمكن التعرّف على الأعمال التي يقرّها الدين إلّا من خلال طلب العلم والفقه في الدين. وهذا يعني أنّ من مستلزمات من يريد أن يمارس التصوّف العلم بأوامر الله ونواهيه على ضوء الشريعة الإسلامية؛ كيلا يصير من يغرّه الشيطان بسبب ما قد يسمع منه أقويل أو من خلال أفاعيل يتعوّدها الأمر الذي قد يؤدي به، في خاتمة المطاف، إلى الانحراف عن ملّة الإسلام.

أصبحت النقطة الثالثة من الأهمية بمكان؛ ذلك أنها تسفر عن إحدى مراتب الدين بل أكبرها. فمراتب الدين ثلاث: الإسلام والإيمان والإحسان. فإذا كان التصوّف يستهدف الإحسان، وذلك يعني أنّه ينبغي لمن يمارس التصوّف أن يحسن إسلامه، وأن يكون على الإيمان القويّ بالله في كلّ حال من الأحوال. ولا يعرف صدق وحقيقة إيمان العبد بالله إلّا من خلال ابتلائه، كما قال الله سبحانه وتعالى في محكم تنزيله: ﴿ أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ﴾ (Al-Qur'an29: 2-3).

لا زال من حكمة الله- جلّ جلاله- أن يبتيلى العبد المؤمن بشتى الطرق مما يمتّ إلى الظواهر المعنويّة والماديّة بصلة. والعبد الذي يصبر على تلك أنواع طرق الابتلاء متوكّلا على الله ومتضرّعا إليه بغية النجاة وإصلاح أمره هو الذي يتحلّى بحقيقة الإيمان؛ لأنّ كثيرا ممن يدعون الإيمان قد ضلّوا خلال هذه

التحديات والابتلاءات، الأمر الذي يؤدي بهم في خاتمة المطاف إلى استلاذة أصحاب السحر والشعوذة، غير مستعنيين بالله في تلك الظروف التي قد رأوا فيها النجوم ظهرا، من خلال ملازمة الأدوية والأذكار المشروعة التي يتم بها تفريج الكروب. فهذه ممارستهم عبارة عن الشرك؛ والأخير أعظم الكبائر، ولن يغفر الله أن يشرك عبد به شيئا.

لقد نوه الله تعالى بوجوه شتى يمكن أن يبتهل من خلالها العبد وبعض الآليات العملية والقولية التي يتوسل بها العبد المؤمن الصادق المبتهل بغية النجاة: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ (Al-Qur'an2: 155-157). عرّف الرسول (صلى الله عليه وسلم) الإحسان في الحديث الطويل المشهور حيث استقبل جبريل- عليه الصلاة والسلام- على النحو التالي: "...قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا الْإِحْسَانُ؟ قَالَ: " أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنَّكَ إِذَا تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ... " (Al-Hadith. Al-Bukhari: 4777). وكما أتى الله رسوله (صلى الله عليه وسلم) نوابغ الكلم، فالإحسان في هذا الحديث له معان عدة لدى العلماء. وفيما يلي، مجموعة من صياغات وتعريف بعض أهل العلم لمفهوم الإحسان الذي قد أجمل الرسول (صلى الله عليه وسلم) معناه:

- الإخلاص وهو شرط في صحّة الإيمان والإسلام معاً (Al-Khattabi, 1932).
- الحثّ على الإخلاص في العبادة ومراقبة العبد ربّه تبارك وتعالى في إتمام الخشوع والخضوع وغير ذلك (Al-Nawawi, 1392H).
- حاصل الإحسان راجع إلى إتقان العبادات ومراعاة حقوق الله ومراقبته واستحضار عظمته وجلالته حال العبادات (Ibn Daqiq Al-'Id, 2003).
- الإحسان مقابلة الخير بأكثر منه والشرّ بالترك أو أقلّ منه (Al-Asqalani, 1479H).
- مبالغة الإخلاص لله بالطاعة والمراقبة له (Ibn Battal, 2003).
- أن تراقب ربك، وأن تعلم أن الله رقيب عليك، أي شيء تقوله، أو تفعله، أو تضمه في سرّك فالله تعالى عليم به (Al-'Uthaymin, 1426H).

فاعتبارا بمجموعة التعاريف التي قد وردت في مفهوم الإحسان، يتجلى أنّ الإحسان ظاهرة جلّ قدرها؛ حيث يشمل العبادة لله بالإخلاص والمراقبة، ثم حسن معاملة مع الله وخلقها. وعلى هذا، إنّ مفهوم الإحسان مقام ينبغي أن يتحرّاه ويحاول أفراد المسلمين بلوغه من خلال الاجتهاد في طاعة الله وعبادته، ما دام الإنسان على قيد الحياة.

يستفاد من النقطة الرابعة ما كان سبب نزول الآية وهو غبطة أهل الصفة مجموعة من الصحابة الضعفاء الذين فضّلوا الانقطاع لعبادة الله على كلّ شيء بعد الاستماع للتوجيهات التي كان الرسول (صلى الله عليه وسلم) يتفضّل بها عليهم. فهم يذكرون الله ويهلّلونه ويحمدونه ويسبحونه ويكبرونه ويسألونه بكرة وعشيا (Ibn Kathir, 1999). فإذا أريد بالتصوّف هذه الظاهرة فلا حرج؛ لأنّ الذكر مما أمر به الله والرسول في شتّى الآيات والأحاديث، بيد أنّ الأمر ينبغي أن يكون على منهج الرسول (صلى الله عليه وسلم). وعلى سبيل المثال، أمر الله المؤمنين قائلًا: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾ (Al-Qur'an33: 41-42). وقال الرسول (صلى الله عليه وسلم) في معنى هذا النصّ القرآني تأييدا له وتصويرا لفضائله: ((أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِخَيْرِ أَعْمَالِكُمْ وَأَزْكَاهَا عِنْدَ مَلِيكِكُمْ، وَأَرْفَعَهَا فِي دَرَجَاتِكُمْ، وَخَيْرَ لَكُمْ مِنْ تَعَاطِي الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ، وَمِنْ أَنْ تَلْقَوْا عَدُوَّكُمْ عَدَاً، فَتَضْرِبُوا أَعْنَاقَهُمْ، وَيَضْرِبُوا أَعْنَاقَكُمْ؟ قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: ذِكْرُ اللَّهِ، عَزَّ وَجَلَّ)) (Al-Hadith. Al-Shaybani:27525). فهذا التمثيل من القرآن والحديث دلالة واضحة على خطورة الذكر في تكوين مفهوم إخلاص العبادة لله سبحانه وتعالى.

إنّ النقطة الخامسة تنبيه على أهميّة اكتساب العلم والفقّه في الدين، ثمّ ترجمة العلم والفقّه إلى العمل من خلال العبادة التي من أجلها خلق الإنسان على وجه البسيطة. لقد ورد في الحديث ما يحثّ على طلب العلم قبل الخوض في العبادة؛ كيلا تكون تلك العملية، التي يعتبرها الإنسان عبادة، مجرد عملية رياضية أو تضييع الأوقات. والعلماء الذين يعرفون الله حقّ المعرفة، هم الذين يعلمون الله من حيث أسمائه وصفاته، ويعرفون حدوده وفرائضه، ثم يفقون عند حدود الله ولا يتجاوزونها؛ وهؤلاء هم الذين رفع الله قدرهم، ودرجاتهم، ووصفهم بأنهم الذين يخشونه. وفي هذا الصدد، ورد قوله- سبحانه وتعالى- على النحو

التالي: (... إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ) (Al- (Qur'an35: 28).

يفيد ما تقدم في النقطة الخامسة بأن العلم في الإسلام شيء مهم جداً، ويعدّ أوجب الواجبات؛ لأنّ الجهل، الذي هو ضدّ العلم، ليس له محلّ من هذا الدين الحنيف، ولذلك جعل طلب العلم فريضة على كلّ مسلم بدون تفریق الجنس والعمر والطبقات. هناك أحاديث كثر وردت في الحثّ على طلب العلم. قال الرسول (صلى الله عليه وسلم): ((مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَطْلُبُ فِيهِ عِلْمًا سَلَكَ اللَّهُ بِهِ طَرِيقًا مِنْ طُرُقِ الْجَنَّةِ، وَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا رِضًا لِطَالِبِ الْعِلْمِ، وَإِنَّ الْعَالِمَ لَيَسْتَغْفِرُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ، وَمَنْ فِي الْأَرْضِ، وَالْجِبْتَانُ فِي جَوْفِ الْمَاءِ، وَإِنَّ فَضْلَ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ، كَفَضْلِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ عَلَى سَائِرِ الْكَوَاكِبِ، وَإِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ، وَإِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَارًا، وَلَا دِرْهَمًا وَرَّثُوا الْعِلْمَ، فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحَظِّ وَافِرٍ)) (Al-Hadith. Abu Dawud: 3641).

يستشفّ من النقطة السادسة أنّ التصفوّ ظاهرة لها فائدة تكمن في تحسين قلب المرء؛ وقد وجد للإمام الغزالي شيء يشبه هذا المعنى في مفهوم التصفوّ حيث قال: "التصفوّ عبارة عن تجرّد القلب لله تعالى، واستحقار ما سوى الله، وحاصله يرجع إلى عمل القلب والجوارح. وعلى هذا، يحدّب ما يرمي إليه التصفوّ؛ لأنّ الله يحاسب الناس أخذًا بما يكتنه قلوبهم وصدورهم من مقدار إيمانهم به؛ فلا ينظر إلى مجرّد أجسادهم وصورهم من حيث الشكل والحسن والجمال. كما كان مصداق هذه النكته ما ورد في حديث الرسول (صلى الله عليه وسلم) على هذا المنوال: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((إِنْ اللَّهُ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُورِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ)) (Al-Hadith. Muslim: 2564) ."

وعلى كلّ حال، ينبغي العناية بشأن القلب، والمحافظة على كلّ ما يعود عليه بالنفع والسلامة مثل ذكر الله، وأداء الفرائض، والامتثال بأوامر الله، واجتناب نواهيه. فإذا سلم العبد من الذنوب والمعاصي خاصّة الكبائر، سيحمد عقباه فائزًا برضى الله يوم الحساب حيث لا ينفع المرء شيء غير صفاء نفسه

وسلامة قلبه. قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ إِلَّا مَنْ أتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ (Al-Qur'an26: 88-89).

أصبحت خشية الله، التي هي مبدأ التصوّف في النقطة السابعة، شيئاً محموداً بكلّ معنى الكلمة؛ فهناك آيات كثيرة يخاطب الله بها عباده المؤمنين أن يلازموا تقواه. فتقوى الله هي أساس كلّ أمر، بالنسبة للشريعة الإسلامية؛ وهي المقصد الأعلى من طاعة الله وعبادته. تتمثل تقوى الله في الوقوف على حدود الله، ورعاية حقوق الله في السرّ والعلانية، ثمّ المحافظة على حقوق الأفراد من الناس الذين يتّم معهم المعاملة من جانب أو آخر. ويمكن أداء كلّ هذه الحقوق بعد معرفة الله والإحاطة بأحكامه في كلّ شيء له تعلق بشأن المرء في الحياة والمعاملة. ومما كان جماع تقوى الله قول الخليفة الرابع في الإسلام علي بن أبي طالب (كرّم الله وجهه) في العبارة التالية: "التقوى هي الخوف من الجليل، والعمل بالتنزيل، والرضا بالقليل، والاستعداد ليوم الرحيل" (Manahiju Jamiah al-Madinah, n.d).

النقطة الثامنة عبارة عن العلاقة بين التصوّف والفقّه، حيث إنّهما يدلّان على أحكام الله وحقوقه نظرياً وعملياً. وعليه، كان من باب الضرورة أن يكون لمن يريد أن يمارس التصوّف نصيب وافر في علم الفقّه إلى جانب معرفته بعلم التصوّف. فالفقّه هو الذي يمهد له الطريق إلى حقيقة التصوّف؛ لأنّه يجعله على بصيرة من كيفية العبادة وأحكامها من حيث الوجود والاستحباب وما إلى ذلك، كما يعرف بواسطته الفرق بين السنة والبدعة.

تسفر النقطة التاسعة عن حاجة العبد العالم إلى ترجمة علمه إلى العمل. فاعتباراً بما قرّره أحد أهل العلم عند تصنيف العلماء إلى ثلاثة أصناف، فأفضل العالم هو "العالم بالله العالم بأمر الله"؛ فهذا الصنف من العلماء، على حسب تعريفه له، هو الذي يخشى الله ويعلم الحدود والفرائض (Ibn Kathir, 1999). يصير العالم الذي كانت تقوى الله شعاره، في نهاية أمره، ممّن يتفضّل الله عليه بالعلم حقائقه ودقائقه؛ وإلى جانب هذا، يفتح الله عليه بقدر همّته عند العمل بالعلم الذي أورثه الله تعالى. لقد ورد في الأثر مصداق هذا القول: ((... من عمل بما علم أورثه الله علم ما لم يعلم)) (Al-Jarahi, 1351H). إنّ تقوى الله

هي التي تدفع العبد إلى أن يعمل بما امتنّ الله عليه من العلم؛ وهي (تقوى الله) لا تزال تفتح قلب العبد إلى المعرفة، وتهيئ روحه إلى التعليم (Sayyid Qutb, 1412H).

لقد نزع بعض أهل العلم إلى أن هذا النصّ القرآني ﴿... وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (Al-Qur'an2: 282). عبارة، من بين أمور أخرى، عن وعد من الله تعالى بأن من اتقاه علمه، أي يجعل في قلبه ابتداء فرقانا، أي فيصلا يفصل به بين الحق والباطل (Al-Qurtubi, 1964). وهذا هو الآخر ينسجم مع ما وعد الله (سبحانه وتعالى) المؤمنين في موضع آخر قائلا: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَل لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ (Al-Qur'an8: 29).

ومما قد يضاف إلى ما يتقدّم، هو أنّ عدم تقوى الله عبارة عن المعصية؛ فمن آثار المعاصي صدّ المرء عن سبيل فهم العلم وتحصيله. فالعلم عنصره نور من الله يلقي في قلب عبده المتقي الذي يقف عند حدود الله ويحذر من أن ينتهك محارمه. لقد ورد في حكاية أن الإمام مالك قد أعجب بوفور فطنة تلميذه الشافعي، وتوقّد ذكائه، وكمال فهمه لما جلس بين يديه قارئاً عليه؛ فقال له مالك: "إني أرى الله قد ألقى على قلبك نورا، فلا تطفئه بظلمة المعصية" (Ibn Qayyim, 1997). وفي معنى هذا، لقد كشف الشافعيّ هو الآخر عن دواء يزيل سوء حفظ العلم وعدم فهمه، وهو اجتناب المعاصي قدر الاستطاعة. صرّح الإمام الشافعي بهذه الحقيقة في مقراً بأن شيخه (وكيع) هو الذي وصف له ذلك الدواء؛ ففي ذلك، قال هذين البيتين على المنوال التالي:

شكوت إلى وكيع سوء حظي *** فأرشدني إلى ترك المعاصي
وأخبرني بأن العلم نور *** ونور الله لا يهدى لعاصي
(Al-Shafi'i, n.d)

يستفاد من النقطة العاشرة أنّ الفقه ظاهرة لا بدّ أن يشترك فيها كلّ عبد يؤمن بالله وحده، ويكفيه ذلك وسيلة يتمّ خلالها إظهار عبوديته لله؛ أما التصفوّف،

فهو أمر يخوض فيه مجموعة خاصة من عباد الله المؤمنين على حسب اعتقاد المهتمين بهذا الشأن.

فالنقطة الحادية عشر عبارة عما تدلّ عليها النقطة السابقة المباشرة؛ حيث إنّ الفقه عامّ والتصوّف خاصّ. فاحتمالية إنكار الفقيه للصوفيّ تترتّب على أنّ الفقه في الدين يكفي لأن يجعل من العبد خيار عباد الله؛ لأنّ العبد يستطيع أن يتعلّم ويعلم الأحكام التي تتعلّق بعبادة الله من خلال مجرّد الفقه. ولذلك ورد في قول الرسول (صلى الله عليه وسلم) إشارة إلى فضل ومزية الفقه في الدين: " من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين... " (Al-Hadith. Al-Bukhari: 71; Muslim: 2683; Al-Tirmidhi: 2699). وعلى هذا، لا يمكن استغناء التصوّف عن الفقه في الدين؛ لأنّ الفقه في الدين أساس كلّ شيء خاصة كلّ ما يتعلّق بشأن العبادة.

يفهم من النقطة الثانية عشر أنّ الصوفيّ الذي قد يرتقي إلى المرتبة العالية في العبادة لا بدّ أن يكون ممن قد حصل على نصيب وافر في الفقه، ثمّ يجتهد العمل بما قد تحصّل عليه من علم الفقه. وعلى هذا، ينبغي أن يكون من يمارس التصوّف على جانب عظيم من علم الفقه؛ ليكون أقرب إلى الإصابة منه إلى الضلال والخطأ الناتجين عن الجهل والهوى.

تُعنى النقطة الأخيرة بأداب وضعها المتصوّفون وينبغي التمسك بها في شأن طلب العلم. وفي هذا، يطلب من طالب العلم أن يتزوّد بحسن الاستماع، وقبول دروس يتلقاها؛ بعد إمعان النظر فيها، والتأكد من صحّة الأدلّة التي تتعلّق بما يتعلّم من الدروس. ثمّ على الطالب، أن يحاول العمل بما يتعلّمه؛ لأنّ بتلك التجربة العملية يستقرّ ويتحقّق ما يأخذ من العلم، حتّى يعدّ في خاتمة المطاف من بين العلماء العاملين المحقّقين في المجتمع.

نظرة عامّة في الموضوع:

لقد أكثر العلماء الحديث عن مفهوم التصوّف منذ القدم، الأمر الذي قد جعل منهم ما بين المادحين والقادحين لهذه الظاهرة. فحينما ينظر المتعصّبون للتصوّف في مجموعة المحاسن والمحامد التي يتحلّى بها المتصوّفون أو الصوفية، أصبح المنكرون يتناولون على التصوّف بسبب ما يلاحظون على

بعض من ينتسبون إليه من الشطحات والظواهر التطرفية التي لا تتفق ومبادئ الشريعة الإسلامية الغراء. وعلى هذا، يرى شيخ الإسلام التصوف أو الصوفية كطريق الاجتهاد في طاعة الله؛ ثم أقر بأن المتصوفين أيضا مجتهدون في طاعة الله كما اجتهد غيرهم من أهل طاعة الله (Ibn Taymiyyah, 1995).

أضاف شيخ الإسلام إلى ذلك تصريحه، في شأن التصوف وأهله، أن هناك في مجموعة المتصوفين من هو السابق المقرّب بحسب اجتهاده، وفيهم المقتصد الذي هو من أهل اليمين؛ وفي كل من الصنفين من قد يجتهد فيخطئ، وفيهم من يذنب فيتوب أو لا يتوب، وأن من المنتسبين إلى التصوف من هو ظالم لنفسه عاص لربه (Ibn Taymiyyah, 1995). وفي بعض أقواله الأخرى، لقد قام بتصنيف المتصوفين إلى ثلاثة أصناف هي: صوفية الحقائق، وصوفية الأرزاق، وصوفية الرسم. فصوفية الحقائق، على حدّ قوله، يتصفون بالخصال الثلاث التالية:

- أ- التحلي بالعدالة الشرعية بحيث يؤدّون الفرائض ويجتنبون المحارم؛
- ب- التأدب بأداب أهل الطريق وهي الآداب الشرعية في غالب الأوقات؛ وأما الآداب البدعية الوضعية، فلا يلتفت إليها؛
- ج- عدم التمسك بفضول الدنيا؛ فأما من كان جماعا للمال أو كان غير متخلق بالأخلاق المحمودة، ولا يتأدب بالآداب الشرعية، أو كان فاسقا، فإنه لا يستحق ذلك (Ibn Taymiyyah, 1995).

ومن سوء الحظ، يلاحظ أنّ غالبية من يدعون الانتساب إلى التصوف في المجتمعات المعاصرة يعدّون في مجموعة صوفية الأرزاق أو صوفية الرسم؛ ذلك أنهم لا يلتزمون بالآداب المحمودة والأخلاق الحسنة الماثورة في الشريعة الإسلامية، والتي كان عليها صوفية الحقائق. فهم الذين لا يتحرّجون من ارتكاب شتى المعاصي ولا يهتمهم المحافظة على فرائض الدين وسننه؛ بل كانوا جهلاء أو مجرّد أهل الأهواء من علماء العصر. وهذه الفعلة عكس مفهوم التصوف لدى السلف. لقد وصف الطوسي المتصوفين بأن: " هم العلماء بالله وبأحكام الله، العاملون بما علمهم الله، المتحقّقون بما استعملهم الله،

الواجدون بما تحقّقوا، القائمون بما وجدوا؛ لأنّ كلّ واحد قد فني بما وجد" (Ahmad Abdul Fattah, 2000).

قيل إنّ التصوّف: زاوية من زوايا السلوك الحقيقيّ، وتزكية النفس وتهذيبها، لتستعدّ لسيرها إلى صحبة الرفيق الأعلى، ومعية من تحبّه. فإنّ المرء مع من أحبّ" (Ibn Qayyim, 1996). وكما ورد في تعريف آخر لدى بعض العلماء، هو: صفاء ومشاهدة أي تصفية القلب وعدم تعلّقة بحطام الدنيا الفانية وإخلاص العبوديّة لله تعالى، وفناء القلب في طاعة الله وذكره؛ لأنّ المرء إذا صفا قلبه لله وأخلص في العبادة واتبع أوامر الله واجتنب نواهيه حقّ له أن يتحقّق بمقام المشاهدة (Ibn Qayyim, 1996).

يلاحظ من كلّ ما سبق، أنّ التصوّف يستهدف تزكية النفس وتصفية القلب؛ حيث إنّ فلاح العبد، وسلامته من سخط ربّه فانزاً نهائياً برضوانه، غايته الوحيدة من كلّ شيء. ولا يتمّ كلّ هذا إلا بإقرار العبد بعبوديته لله من خلال إخلاص الدين والعبادة له على ضوء مجموعة التوجيهات والإرشادات المبنوثة في كتاب الله وسنة رسوله (صلى الله عليه وسلم): الفرائض أولاً ثمّ المستحبات. فإنّه من المستحيل أن يطلب العبد التقرب إلى الله بدون المحافظة على تقديم أداء فرائض دين الله قبل سننه. وكما ورد في الأثر: ((إنّ الله تعالى قال: "... وما تقرب إليّ عبدي بشيء أحبّ إليّ مما افترضت عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه...")) (Al-Hadith. Al-Bukhari: 6502).

الخاتمة:

يتجلّى من خلال استقصاء ودراسة آراء الشيخ ابن فودي حول مفهوم التصوّف، أنّه عالم متصوّف وفاقه مجتهد على مذهب المالكية. عليه، فأراؤه تفيد بأنّه منصف في ممارسة التصوّف؛ لأنّه لم يأت بشيء يكون مع ما في الشريعة الإسلامية على طرفي نقيض. وكانت فتواه في هذه القضية إلى الصواب أقرب منها إلى الخطأ؛ كما تلاحظ هذه الحقيقة وتتمثّل في تلك مجموعة النقاط التي قد تفضّل بها على مستفتيه في قضية التصوّف. هذا، وينبغي أن يتنبّه كلّ من يتعاطون التصوّف في المجتمع المعاصر في دولة

نيجيريا وغرب أفريقيا عامّة، لهذه الحقائق؛ وعلى وجه الخصوص، ينبغي أن يحذر الذين قد يتهوّنون بمجرد الافتخار بشخصية الشيخ ابن فودي فيجعلونه حجة ومرجعهم عند تعاطي التصوّف، غير مكترئين بفضائل الشيخ وكفاحه ضدّ الفساد والانحرافات الأخلاقيّة التي ينكرها الإسلام ويحاربها من خلال توجيهاته الشرعيّة المبنيّة على الكتاب والسنة.

لا بدّ أن يحتاط المتصوّفون المعاصرون كلّ الاحتياط- فلا ينسبوا إليه أقاويل لم ترو عنه؛ تعريزا لبعض نشاطاته الصوفية التي تتنافي والشرعية الإسلامية. وليكونوا على بصيرة من أنّ ابن فودي قد أقام للعلم وزنا في كلّ تصرّفات؛ فلم يتساهل بما في الكتاب والسنة من التعاليم والتوجيهات، فيما يتعلّق بشأن العبادة بما فيها حركاته الصوفيّة. وعلى هذا، يتلخّص التصوّف عند ابن فودي في طلب العلم، والعمل بالعلم، وملازمة الآداب الإسلامية المبنوثة في الكتاب والسنة، وامتنال أوامر الله، واجتناب نواهيه، ثمّ التحلّي بمكارم الأخلاق، وصدق التوجّه إلى الله من خلال إخلاص العبادة لله، وتقوى الله، في السرّ والعلانية.

وعلى الإجمال، كما يعدّ التصوّف مجرد أحد طرق الاجتهاد في طاعة الله وعبادته، ينبغي أن يكون كلّ الفرد على دراية بمجموعة الحقائق التالية:

- التصوّف خلق حسن وإخلاص النية والعبادة لله.
- إنّ التصوّف ليس الطريق الوحيد في تحقيق أداء العبودية والعبادة لله.
- ينبغي أن يتمّ كلّ الإجراءات في التصوّف على ضوء ما في الشريعة الإسلامية من الأحكام.
- إنّ الشطحات والأفاعيل التي يؤخذ عليها بعض المتصوّفين مجرد انحرافات، ليست من الإسلام في شيء.
- يجب طلب علم الفقه قبل الخوض في التصوّف؛ كيلا يزور المرء عن الصراط المستقيم الذي هو أساس المبادئ الإسلاميّة.
- ينبغي أن يكون التصوّف أشبه شيء بالربانيّة؛ لأنّ الأخيرة تتجسّد في شدّة التمسك بدين الله وطاعته، بعد اكتساب قدر لابأس به من العلم والفقه في الدين.

- إنَّ حقيقة التصوّف هي ملازمة تقوى الله من خلال امتثال أوامر الله واجتناب نواهيه، ثمّ الوقوف بحدود الله في الأقوال والأعمال حسب التوجيهات الإسلامية التي يتمّ بيانها في الكتاب والسنة.

REFERENCES

- ‘Abū Bakr, ‘Alī. (1972). *Al-Thaqāfah Al-‘Arabiyyah fī Nayjīriyā*. Bayrut: Mu’asasatu ‘Abdul- Hafīz Al-Bassāt.
- ‘Abū Dāwud, Sulaymān būn Al-‘Ash‘ath bn Ishāq bn Bashir Al-Sijistāniy. (n.d). *Sunanu ‘Abī Dāwud*. Tahqīqu: Muhammad Muhyiddīn ‘Abdul Hamīd. Bayrūt: Al-Maktabah Al-‘Asriyyah.
- ‘Ahmad, ‘Abdul Fattāh Muhammad Sayyid. (1420 H/ 2000). *Al-Taṣawwuf bayna Al-Ghazzālī wa Ibn Taymiyyah*. Al-Manṣūrah: Dār Al-Wafā’ li Al-Tibā‘ah wa Al-Nashr wa Al-Tawzī‘.
- Al-‘Asqalāniy, ‘Ahmad bin ‘Alī bin Hajar. (1379 H). *Fathu-l-bārī sharhu ṣaḥīh Al-Bukhārī*. Ta’līqu ‘Abdul ‘Azīz bin ‘Abdullah bin Bāz. Bayrut: Dāru-l- Ma‘arifah.
- Al-Bukharī, Muhammad bin ‘Ismā‘īl. (1422 H). *Al-Jāmi‘u al-musnad aṣ-ṣaḥīh al-mukhtaṣar min ‘umūri Rasūl*. Taqīq: Muhammmad Zuhayr bin Nāṣir. n.p. Dāru Ṭawq An-Najāh.
- Al-dāli, Al-Hādī Al-Mubāarak. (2007). *Qabā’il al-fulān: Dirāsah wathā’iqiyyah*. Benghazi: Dār Al-Kutub Al-Waṭaniyyah.
- Al-Ghazzālīy, ‘Abū Hamid Muhammad bin Muhammad. (n.d). *‘Ihyā’u ‘ulūmi-d-dīn*. Bayrut: Dāru-l- Ma‘arifah.
- Al-Iloriy, ‘Ādam ‘Abdullah. (1433H/ 2012). *Al-‘Islām fī Nayjīriyā wa Al-Sheikh Uthman bin Fudio al-Fulānī*. Cairo: Maktabatu Wahbah.
- Al-Jarāhiy, ‘Ismā‘īl bin Muhammad Al-Ajlūniy. (1351H). *kashfu al-khafā’i wa muzīlu al-‘ilbās ammā ishtahara minal- ‘ahādīth ‘alā ‘alsinat an-nās*. Cairo: Maktabatu-l-Qudsiy.
- Al-Khaṭṭābiy, Abū Sulaymān Hamd bin Muhammad bin ‘Ibrahīm. (1351 H/ 1932). *Ma‘ālimu sunan wahuwa sharhu sunan ‘Abī Dāwud*. Halab: Al-Maṭba‘ah Al-‘Ilmiyyah.
- Al-Nawawiy, ‘Abū Zakariyā Muhyid-dīn Yahya bin Sharaf. (1392) H). *Al-Minhāj sharhu ṣaḥīhi Muslim bin Al-Hajjāj*. 2nd Edition. Bayrut: Dāru ‘Ihyā’u Al-Turāth Al-‘Arabiyy.
- Al-Qurtubiy, ‘Abū ‘Abdullah Muhammad bn ‘Ahmad bn ‘Abi Bakr. (1384H/ 1964). *Al-Jāmi‘u li-‘ahkām al-Qur’ān (Tafsīr Al-Qurtubiy)*. Tahqīqu: Ahmad Al-Barduni wa Ibrahim Atfayyas. Cairo: Dāru Al-Kutub Al-Misriyyah.

- Al-Shāfi‘i, ‘Abū ‘Abdullah Muhammad bun ‘Idrīs. (n.d). *Dīwān al-‘Imām Al-Shāfi‘i*. Sharh wa Ḍabt (Umar Faruq). Bayrut: Sharkatu Dāru-l-‘Arqam bin ‘Abī-l-‘Arqam li-t-Tibā‘ah wa al-Nashr wa al-Tawzī‘.
- Al-Shaybānī, ‘Abū ‘Abdullah ‘Ahmad bin Muhammad bin Hanbal bin Hilāl bin ‘Asad. (1421H/ 2001). *Musnad al-‘Imām ‘Ahmad bn Hanbal*. Tahqīq: Shu‘ayb Al-‘Arna‘ūt - ‘Ādil Murshid, et al. n.p: Mu‘assasah Ar-Risālah.
- Al-‘Uthaymīn, Muhammad bin Šālih bin Muhammad. (1426 H). *Sharhu riyāḍ al-šālihīn*. Riyadh: Dāru-l-Waṭan Li- Al-Nashr.
- Husayn, Muhammad Šolih. (1404 H/ 1984). *Kitābu hiṣni-r- raṣni fī ‘ilmi at-taṣrīf li ‘Allāmati-s- Sudān*. Bayrut: Dār Al-Fikr.
- Ibn Battāl, ‘Abūl Hasan ‘Alī bin Khalaf bin Al-Malik. (1423 H/ 2003). *Sharhu saḥīh al-Bukhārī li Ibn Battāl*. Tahqīq Abū Tamīm Yāsir bin ‘Ibrāhīm. Riyadh: Dār Al-Nashr.
- Ibn Daqīq Al-‘Id, Taqīyyud-dīn ‘Abu Al-Fath Muhammad Bin ‘Alī Al-Qushayriy. (1424 H/ 2003). *Sharh al-‘arba‘īna al-nawawīyyah fī al-ahādīth al-saḥīhah al-Nabawīyyah*. 6th Edition. n.p: Mu‘assasah Ar-Rayyān.
- Ibn Fūdi, ‘Abdullah bin Muhammad. (1380 H/ 1971). *Diyā‘u al-ta’wīl fī ma‘ānī al-tanzīl*. Cairo: Matba‘at Al-Istiḳāmah.
- _____. (1408 H/ 1988). *Diyā‘u as-siyāsāt wa fatāwā al-nawāzil mim mā huwa min furū‘i al-dīn mina-l- masā’il*. Tahqīq: Kāni Ahmad Muhammad. Cairo: Az-Zahrā‘u lil ‘Ilām Al-‘Arabiy.
- Ibn Kathīr, Abū Al-Fidā‘ ‘Ismā‘īl bin ‘Umar. (1420 H/ 1999). *Tafsīr al-Qur‘ān al-‘Aẓīm*. Tahqīq: Sāmī bin Muhammad Sulāmah. n.p: Dāru Taybah li al-Nashri wa al-Tawzī‘.
- Ibn Qayyim Al-Jawziyyah, Muhammad bin ‘Abī Bakr bin Ayyūb. (1416 H/ 1996). *Madārij as-sālikīna bayna manāzil ‘iyyāka na‘budu wa ‘iyyāka nasta‘īn*. Tahqīq: Muhammad Al-Mutasimubillah Al-Baghdadiy. Bayrut: Dar Al-Kitab Al-Arabiy.
- _____. (1418 H/ 1997). *Al-Jawāb al-kāfi liman sa‘ala an al-dawā‘i al-shāfi‘i aw al-dā‘i wa al-dawā‘*. Al-Maghrib: Dāru Al-Ma‘rifah.
- Ibn Taymiyyah, Taqīyyud-dīn ‘Abu-l-Abbās ‘Ahmad bin ‘Abdul Halīm. (1399 H). *Amrād al-qulūb wa shifā‘uā*. Cairo: Al-Matba‘at As-Salafiyyah.
- _____. (1416 H/ 1995). *Majmū‘u al-fatāwā*. Tahqīq: ‘Abdur-Rahmān bin Muhammad bin Qāsim. Madinah Munawwarah: Majma‘u Al-Malik Fahd li Tibā‘at Al-Mushaf Al-Sharīf.
- Kanūn, ‘Abdullah. (1430H/ 2010). *Dhikriyātu mashāhīri rijāl al-maghrib fī al-‘ilm wa al-‘adab wa al-siyāsah*. (Isdāru Markaz Al-Turāth Al-Thaqāfiy Al-Maghribiy). Bayrut: Dāru Ibn Hazm.
- Manāhiju Jāmi‘ah Al-Madīnah Al-‘Ālamiyyah. (n.d). *At-Tafsīr al-maodū‘iy2*. Subject Code: IUQR4093. Jāmi‘atu-l-Madīnah Al-‘Ālamiyyah.

- Muslim, Ibn Al-Hajjāj Abū-l-Hasan Al-Qushayriy, Al-Naysābūriy, *Al-Musnad aṣ-ṣahīh al-mukhtaṣar*. Taḥqīq Muḥammad Fuād Abdul Baqī. Bayrut: Dāru 'Ihyā'u Al-Turāth Al-'Arabiyy.
- Namādi, Muḥammad Tāsi'u. (1425 H/ 2004). *Manhaj al-Sheikh 'Abdullah bin Fūdi fī al-tafsīr*. (PhD Thesis). Al-Jāmi'ah Al-Islāmiyyah Al-'Ālamīyyah, Islamabad.
- Sayyid Qutb, 'Ibrahīm Husayn Al-Shāribiy, (1412 H). *Fī zilāl al-Qur'ān*. 17th Edition. Bayrut-Cairo: Dāru al-Shurūq.
- 'Umar, 'Ahmad Mukhtār 'Abdul Hamīd. (1429H/ 2008). *Mu'jam al-lughatu al-'Arabiyyah al-mu'āṣirah*. n.p: 'Ālamu-l-Kutub.

